

تنمية الإمساس بالجمال

إن الله جميل يحب الجمال.

وصور الجمال في الكون والحياة، دليل على قدرة الله وعظمته وحكمته، والقيم العليا في مبادئ السماء، ترمز إلى نواح جمالية مثلى، لأنها ينبوع السعادة الحقيقية للبشر في كل زمان ومكان، فالخير والفضيلة، والحب والصدق، والعدل والرحمة، والتأخي والبر، والطهر والعفاف، وغير ذلك من الأمور الإيجابية البناءة، التي تملأ القلب بالرضى والسرور، هي في مجموعها جماع السعادة الدنيوية والأخروية، هي تعبير عن الجمال المعنوي الذي لا حدود له..

واتساق الكائنات الحية والجمادة، وامتداد السماء بصفائها وسحبها وأمطارها، وتدفق الأنهار والبحار وما تحويه من نعم، وتنوع المزروعات والحيوانات والطيور، ثم السنن الكونية الدقيقة المنظمة التي لا تكون بدونها أية حياة، وتعاقب الليل والنهار وغيرهما تنبض بما لا يمكن وصفه أو التعبير عنه من الجمال المعجز..

لكن لحكمة يعلمها الله هناك من لهم أعين لا يبصرون بها، وآذان لا يسمعون بها، وقلوب لا يفقهون بها، إنهم كالأنعام بل هم أضلّ، وقد دعت الآيات القرآنية إلى تأمل هذا الكون، واكتشاف روعة التنظيم والتنسيق والجمال فيه، حتى يزداد الإنسان إيماناً ويقيناً، ويسعد بتلك الثروة الهائلة التي تغمر الإنسان والكون في كل موقع (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها).

وتذوق الجمال واليقين من أعظم نعم الله، وقد رمز إليها أحد الصالحين بقوله "إن بين جنبي من اللذة، ما لو علمها الملوك لقاتلوني عليها بالسيوف".

وتمثل الخطيئة والشر والفساد والظلم والاستغلال والغفلة والبعد عن مبادئ السماء، مثل صورة بشعة للقيح الذي يضاد الجمال..

والأدب كفن جميل _ إذا ما سار على النهج السليم، وروعت فيه القواعد الجمالية شكلاً ومضموناً، أوحى إلى القارئ بصور للجمال متنوعة مؤثرة، فالقصة بما فيها من أحداث وشخصيات وتنسيق وقيم وتشويق، تخلق لب الطفل، في كل زمان ومكان، وتجعله يشعر بالمتعة والرضى والإنتناس، وتمده بالمعرفة والخبرة، فيستشعر تلك "اللذة" الروحية التي تفوق في روعتها ماديات الحياة ومغرياتها...

إن تنمية الذوق الجمالي لدى الطفل، له وثيق الصلة بسلوكه المستقبلي، وحكمه على الأمور، واتخاذ للمواقف المؤثرة في الحياة، سوف يشغف بكل ما هو جميل.

وسوف يأنف من كل قبيح أو بشع...

عندئذ يجد في نفسه الرغبة لفعل الخير، والبعد عن الشر، وسوف تتكون في ضميره وعقله جذور راسخة للقيم الفاضلة، لأنه حريص _ بتكوينه _ على الإستمتاع بما فيه من جمال وخير وحسن عاقبة، وستكون وسيلة لإرضاء ربه، واستقامة أمره، وخدمة مجتمعه، ولسوف ينظر إلى الوجود من حوله نظرة تعمق وفهم وتذوق وتأمل، ويبهج بما لله من قدرة وعظمة، وتترعرع في داخله أزاهير الحب والبهجة والنقاء...

إن الطفل ينزعج أيما انزعاج وهو يستمع إلى قصص البشاعة والقسوة أو يقرأها، وقد يملؤه الخوف والذعر، فيلجأ إلى من حوله ليحتمي بهم، وتقزعه مشاهد الدماء والقتل والظلم الفادح، وتطارده الكوابيس في نومه، وتتلون نظرتة إلى الحياة بلون قاتم مخيف محزن، ولهذا فإن الذين يكتبون للأطفال، يجب ألا يغرقوا في مثل تلك المشاهد والأحداث المرعبة، بحجة أن الحياة فيها الخير والشر، وفيها القبح والجمال، والظلم والعدل، إن الإنحياز إلى الجوانب الخيرة المشرقة في الحياة أمر حيوي بالنسبة لأدب الأطفال، ولا بأس من الإشارة بطريقة عابرة غير تفصيلية لما قد يعتدل في أحداث الحياة من انحرافات وخطأ حتى لا يخدع الطفل، ويكتشف في المستقبل أننا خدعناه، هذا هو الأسلوب الأمثل في تصوير الحياة والناس للطفل، كما يمكن للكاتب أن يلمح إلى أن الشر عاقبته وخيمة، وأن الخير يفضي إلى السعادة والفلاح ورضى الله والناس.

والطفل أقرب إلى تذوق الجمال من الكبار، فقد يرى الجمال في قطعة من الحديد الصدىء، أو دمية صغيرة، أو زجاجة فارغة. فيقتني هذه أو تلك ويحرص عليها، ثم إن نضوج الكبار وخبراتهم وحاستهم النقدية، تجعلهم أقل إستمتاعاً بما يقرأون أو يسمعون من قصص، لكن الطفل يستغرق في تصوراته وأوهامه وهو يقرأ أو يسمع وينتس أيما نشوة، ويضع لنفسه عالماً فريداً مشوقاً، وبينهمك فيه، ويكاد ينسى كل ما حوله، وكتبت الأطفال عندما يدرك ذلك _ يستطيع أن يفهم أية فرصة نادرة تلك، وأية مسئولية كبرى يحملها، وهو ينفش على تلك الصفحة البيضاء ما يريد من قيم وأفكار ومشاعر.

المكتبة الإلكترونية المجانية

www.fiseb.com